بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الأمر الرابع: أفاد صاحب الميزان قدس سره في [ج١٤ ص١٣٣]: إن تفسير الكتاب بغير الكتاب والسنة القطعية من التفسير بالرأي الممنوع في الكتاب والسنة، كما في قوله عليه السلام: (من تكلم بالقرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)، وكما في قوله: (من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)، وذكر في هذا الصدد عدة نقاط:

النقطة الأولى: إن حمل الآية على خلاف الظاهر لوجود رواية تخالف ظاهرها لا مسوّغ له ولا دليل يدلّ عليه، حيث أن الكتاب لم ينزل ألغازاً وتعمية لكي يحتاج إلى الرواية ليرفع عن غموضه.

النقطة الثانية: إن الرجوع لظاهر الحديث من أجل تفسير الآية لا يُجدي؛ لأن الحديث فيه محكم وفيه متشابه فإذا رجعنا في تفسير لظاهر الحديث فهذا من ردّ متشابه القرآن إلى متشابه الحديث وليس من تفسير القرآن بالرواية كي يكون معتمداً، وهو في هذا يشير إلى جملة من الروايات، منها: ما ذكره الشيخ الصدوق عليه الرحمة في عيون أخباره حيث قال: حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن أبي حيون مولى الرضا عليه السلام قال: (من رد متشابه القرآن إلى محكمة هدى إلى صراط مستقيم ثم قال: إن في أخبارنا متشابها كمتشابه القرآن ومحكما كمحكم القرآن فردوا متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا) [عيون أخبار الرضا (ع) ج٢ ص٢١٦].

النقطة الثالثة: إن في العمل بالروايات وتحكيمها إشكالاً آخر غير ما ذكرنا وهو أنها أخبار آحاد ليست بمتواترة ولا قطعية الصدور، وما هذا شأنه يحتاج في العمل به إلى حجة شرعية إما بالجعل أو بإمضاء السيرة العقلائية، وقد اتضح في الأصول اتضاحاً يتلو البداهة أن لا معنى لحجية أخبار الآحاد في غير الأحكام الشرعية كالمعارف العقائدية والموضوعات الخارجية، نعم المتواتر والمحفوف بالقرائن القطعية كالمسموع من المعصوم حجة وإن كان في غير الأحكام.

النقطة الرابعة: إن لأهل البيت عليهم السلام طريقة في تفسير الآيات المتشابهة كما شرحه قدس سره في تفسير الأعراف، وقد ذكر قدس سره [ج٨ ص ١٥٨] أنموذجاً لتفسير أهل البيت عليهم السلام في تفسير

لفظ العرش ولفظ الكرسي الواردين في القرآن الكريم، وحاصل ما ذكره قدس سره هناك حول تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]:

إن مفاد الآية في عين أنه تمثيل- والتمثيل هو الكناية – يُبيّن أن له تبارك وتعالى إحاطة تدبيرية لملكه، وفي عين هذا يدل على أن هنالك مرحلة حقيقية هي المقام الذي يجتمع فيه جميع أزمة الأمور على كثرتها واختلافها وهو العرش، ويدل عليه آيات أخرى تتحدث عن العرش وحده وتنسبه إلى الله كقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوا فَقُل حَسبِيَ اللهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَهُوَ رَبُّ العَرشِ العَظيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] وقوله تعالى: ﴿الَّذينَ يَحمِلونَ العَرشَ وَمَن حَولَهُ يُسَبِّحونَ بِحَمدِ رَبِّهِم وَيُؤمِنونَ بِهِ وَيَستَغفِرونَ لِلَّذينَ آمَنوا﴾ [غافر: ٧] وقوله تعالى: ﴿وَيَحمِلُ عَرشَ رَبِّكَ فَوقَهُم يَومَئِذٍ ثَمانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى المَلائِكَةَ حافّينَ مِن حَولِ العَرشِ يُسَبِّحونَ بِحَمدِ رَبِّهِم وَقُضِيَ بَينَهُم بِالحَقِّ وَقيلَ الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ﴾ [الزمر: ٧٥] فالآيات كما ترى تدل بظاهرها على أن العرش حقيقة من الحقائق العينية الخارجية، ولذلك نقول: إن للعرش مصداقاً خارجياً ولم يُذكر في الكلام لمجرد المثل كما في الأمثال المضروبة في القرآن الكريم، كما في آية النور مثلاً: ﴿اللهُ نورُ السَّماواتِ وَالأَرضِ مَثَلُ نورِهِ كَمِشكاةٍ فيها مِصباحٌ المِصباحُ في زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوكَبٌ دُرِّيٌّ يوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيتونَةٍ لا شَرقِيَّةٍ وَلا غَربِيَّةٍ يَكادُ زَيتُها يُضيءُ وَلَو لَم تَمسَسهُ نارٌ نورٌ عَلى نورٍ يَهدِي اللهُ لِنورِهِ مَن يَشاءُ وَيَضرِبُ اللهُ الأَمثالَ لِلنّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَليمٌ﴾ [النور: ٣٥] حيث لا يُقال هنا بوجود مشكاة خارجية وزجاجة خارجية لأن هذه الآية مسوقة للتمثيل، وأما في آيات العرش فهي تدل على أن للعرش حقيقة عينيّة خارجية وليست مجرد تمثيل، وهذا هو المستفاد من مثل قوله ﴿ ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وأنه في مقام الوجود تجتمع فيه أزمة الحوادث والأمور كما تجتمع أزمة المملكة في عرش الملك، ويدل على تحقق هذه الصفة للعرش قوله تعالى: ﴿إِ ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ يُدَبِّرُ الأَمرَ﴾ [يونس: ٣].

هذا حاصل ما ذكره قدس سره [في ج٨ ص١٢٨] وذكر [في ج١٤ ص١٢٨] طريقة أهل البيت عليهم السلام في تفسير العرش وقال ما حاصله:

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿الرَّحمنُ عَلَى العَرشِ استَوى﴾ [طه: ٥]:

(بذلك وصف نفسه وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملا له ولا أن يكون العرش حاويا له ولا أن العرش محتاز له، ولكنا نقول: هو حامل العرش وممسك العرش، ونقول من ذلك ما قال: ﴿وَسِعَ كُرسِيُّهُ السَّماواتِ وَالأَرضَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فثبّتنا من العرش والكرسي ما

ثبّته الله، ونفينا أن يكون العرش والكرسي حاوياً له أو يكون عزوجل محتاجاً إلى مكان أو إلى شيء مما خلق، بل خلقه محتاجون إليه) ويعلق صاحب الميزان قدس سره على هذه الرواية ويقول:

أقول: إن قوله عليه السلام (فثبّتنا ما ثبّته الله): إشارة إلى طريقة أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآيات المتشابهة من القرآن مما يرجع إلى إرجاع متشابهات القرآن إلى المحكمات، فالعرش هو المقام الذي يُبتدأ منه ويُنتهى إليه.

هذا حاصل ما ذكره قدس سره، ولنا عدة ملاحظات نسجلها على هذا المنهج:

الملاحظة الأولى: ذكرنا في الأمر الأول – في المحاضرة السابقة – أن صاحب الميزان يعتبر ظواهر الآيات القرآنية بياناً واضحاً يكفي في نيل معارفه الفهم بمقدار من التأمل ولا يحتاج إلى الرجوع إلى الروايات النبوية و المعصومية إلا من باب تجويد السليقة والإرشاد للطريق، وقد استدل على ذلك بعدة آيات منها: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ وَلَو كانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدوا فيهِ اختِلافًا كَثيرًا﴾ [النساء: ٨٢] والاستناد بمثل هذه الآية لبيان الاستغناء عن الرجوع إلى الروايات في مقام التفسير غير تام، وذلك لنكتتين:

النكتة الأولى: أن التدبر في القرآن رافعٌ للاختلاف بين مضامين آياته، وإنما يكون كذلك لوجود الجمع العرفي بين آياته ومع وجوده فمتى أعطى الإنسان مقداراً من التدبر لم يجد اختلافاً بين آياته، وهذا غير تحديد المراد الجدي من الآية، فغاية ما تفيده هذه الآية أنه بإمكان أي متدبر أن يدرك عدم الاختلاف بين آيات القرآن لوجود جمع عرفي بين آياته، وأما لو أراد المتدبر تحديد المراد الجدي من الآية سواء كان لها مخالف أو لم يكن، فلا تدل الآية على عدم الحاجة إلى الرجوع إلى الرواية المعصومية.

وبعبارة أخرى: هنا جهتان، جهة رفع الاختلاف وهذا يحصل بالجمع العرفي، وجهة تحديد المراد الجدي من الآية وهذه الجهة لا تدل الآية على أنه يُمكن أن يُستغنى عن الرواية المعصومية في تحديده.

النكتة الثانية:لا إشكال في أن ورود هذه الآية في مقام التحدي يقتضي أنه يكفي في إثبات عدم وجود اختلاف بين آيات القرآن الرجوع إلى القرآن نفسه، ولكن الآية ذكرت أن الرافع للاختلاف هو مطلق التدبر ومن طرق التدبر الرجوع إلى الروايات الشريفة للتنبيه على نكات استظهارية في القرآن، ولولا الرجوع إلى الروايات لما أمكن أن ينتبه لها الذهن البشري بطبعه، فالرواية وإن كانت مجرد منبه على وجود النكتة إلا أنه قبل الرجوع إليها فإن نوع الذهن البشري لا يلتفت إليها، فإذا كانت الآية أمرت بالتدبر لرفع الاختلاف ومن التدبر الرجوع إلى الروايات لمعرفة بعض النكات الاستظهارية والدخيلة في فهم مراداته ورفع الاختلاف بين آياته فهذا لا ينفي أن تكون الآية في مقام التحدي، وهذا يستفاد من بعض الروايات الشريفة

التي تشير إلى نكات استظهارية تعين في فهم مرادات القرآن ولولا بيان المعصوم لها لما التفت نوع الذهن البشري لها، كما في رواية زرارة عن الباقر عليه السلام حيث قال: ("وامسحوا برؤوسكم" فعرفنا حين قال: "برؤوسكم" أن المسح ببعض الرأس لمكان الباء)، وكما في رواية قطع يد السارق الواردة في تفسير العياشي [ج١ ص٣١٥] عن الإمام الجواد عليه السلام: (فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: (وأن المساجد لله) يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها (فلا تدعوا مع الله أحدا) وما كان لله لم يقطع)، فهذه النكات الاستظهارية التي ينتزعها الإمام من القرآن نفسه مما لا يتوصل إليها نوع الذهن البشري، فالرجوع إلى الرواية الشريفة لمعرفة هذه النكات الاستظهارية من أوضح مصاديق التدبر في القرآن؛ لأنه ليس رجوعاً للرواية بشكل محض بل هو رجوع للرواية من أجل فهم المراد الجدي للآية القرآني عن طريق نكات استظهارية مستفادة من القرآن نفسه.

الملاحظة الثانية: ذكر صاحب الميزان قدس سره وكذا السيد السبزواري قدس سره أن قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَنَزَّلنا عَلَيكَ الكِتابَ تِبيانًا لِكُلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحمَةً وَبُشرى لِلمُسلِمينَ﴾ [النحل: ٨٩] يدل على أن القرآن تبيان لنفسه لأنه تبيان لكل شيء ومع ذلك كيف نحتاج إلى شيء خارج عنه لفهم مراداته؟

ولكن يمكن القول: إن هذا يعتمد على تفسير مفردة التبيان بأنها الوضوح ورفع الغموض، والحال أن هذا التفسير مما لا مُعَيّن له، إذ يُحتمل أن المراد من التبيان هو التفصيل فيما يرتبط بالهداية، فيكون معنى الآية أننا نزلنا في هذا الكتاب كل ما يحتاج إليه الإنسان ليصل لمقام الهداية بشكل مفصل، وكون هذا التفصيل واضحاً أو مبهماً هذا أمر آخر، فالتبيان بمعنى التفصيل لا التوضيح بحيث يتصدّى القرآن إلى بيان كل شيء، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿كِتابٌ فُصِّلَت آياتُهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لِقَومٍ يَعلَمونَ﴾ [فصلت: ٣] وقوله تعالى: ﴿الر كِتابٌ أُحكِمَت آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُن حَكيمٍ خَبيرٍ﴾ [هود: ١]، ويؤيد ذلك أيضاً ما يشهد به الوجدان من عدم وضوح جميع الآيات القرآنية.

وعلى فرض ظهور لفظ التبيان في التوضيح فإما أن نعمل بالعموم المفيد أن جميع آيات القرآن واضحة، وهذا يصطدم مع بعض الآيات التي نص القرآن نفسه على أن من آياته متشابهات، وأن بعض آياته تشتمل على معاني مجملة تحتاج إلى توضيح وبيان، وإما أن نخصص عموم الآية ببعض القرآن لا جميعه فلا يصلح ظاهر الآية حينئذ لإثبات الإستغناء عن الرواية في التفسير.

الملاحظة الثالثة: إن الاستناد إلى مجموع هذه الآيات التي نصت على أنه نور وتبيان وذو لسان عربي مبين وما أشبه ذلك يُلاحظ عليه أمور ثلاثة:

الأمر الأول: إن كون الظاهر العام في القرآن هو الوضوح كما تُرشد إليه هذه الآيات لا ينافي اشتمال بعض الآيات على نوع من الغموض والإجمال، كالآيات التي ظاهرها التشبيه والتجسيم مثلاً.

الأمر الثاني: إما أن يكون مفاد هذه الآيات موجبة كلية ولازمه عدم صحة الرجوع إلى الروايات مطلقاً حتى القطعي منها والمتواتر، لأنه إذا كان كل القرآن واضحاً لم يكن هناك حاجة حتى للرجوع إلى الروايات المتواترة والقطعية، وهذا خلف ما ذكره وأشرنا إليه في الأمر الرابع.

وإما أن يكون مفاد هذه الآيات موجبة جزئية فلا دلالة فيها على حجية الرواية الواردة في تفسير القرآن الكريم إذا كانت الرواية تامة سنداً ودلالة.

الأمر الثالث: إما أن يكون مفاد هذه الآيات وضوح القرآن بدرجة لا تحتاج إلى البيان والتعليم وهذا منافٍ لصريح القرآن كما في قوله تعالى: ﴿بِالبَيِّناتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلنا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيهِم وَلَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ﴾ [النحل: ٤٤] الدال على وجود حاجة لبيان النبي صلى الله عليه وآله، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الأُمِّيّينَ رَسولًا مِنهُم يَتلو عَلَيهِم آياتِهِ وَيُزَكّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكمَةَ وَإِن كانوا مِن قَبلُ لَفي ضَلالٍ مُبينٍ﴾ [الجمعة: ٢] الدال على الحاجة لتعليم الرسول صلى الله عليه وآله، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَينا بَيانَهُ﴾ [القيامة: ١٩] أي: أن وراء القرآن بياناً نزل من السماء على النبي صلى الله عليه وآله، ولم يُعتمد فيه على وضوح القرآن نفسه، وإن كان مقصود هذه الآيات أن القرآن بدرجة من الظهور تكفي من الاستفادة من القرآن في مقام العظة والعبرة ولكن هذه الدرجة لا تكفي لتحديد المعنى الواقعي والمراد الجدي من الآية فإنه يثبت حينئذ الحاجة في تحديد المراد الجدي من الكتاب إلى ما هو حجة من كلام النبي والمعصومين عليهم السلام.

والحمد لله رب العالمين.